مشتغلٌ بالخرافات

(1)

أعيشُ مستفيدًا من معتقدات الآخرين الخرافية، وهو عملٌ شاق للغاية، ولا يدرُّ دخلًا كافيًا. وكانت وظيفتي الأولى في مصنع للمياه المعدنية الفوارة، حيث كان رئيسي يعتقد، ولا أحد يدري لماذا، أن واحدة من آلاف القوارير السيفونية التي تستخرج منها مياه الصودا، لم يحددها، تُخفي القنبلة الذرية. ومن معتقداته أيضًا أن وجود إنسان واحد كافٍ للحيلولة دون انطلاق هذه الطاقة المخيفة.

وكان موظفو المصنع العديدون، يختصُّ كلٌّ منهم بشاحنة؛ وكانت مهمتي أن أظل جالسًا على السطح غير المستوي لزجاجات المياه المعدنية الفوارة، لست ساعات يوميًا، هي مدة توزيع الزجاجات. وهي مهمة شاقة، فالشاحنة تهتز، ومكان الجلوس غير مريح، بل مؤلم، والطريق ممل، وللسائقين صفات عموم سائقي الشاحنات، وبين حين وحين، تنفجر زجاجة سيفونية (لا تكون تلك التي تخفي القنبلة الذرية)، وأصابتني جرَّاء ذلك جروح طفيفة.

وفي نهاية الأمر، قدمتُ استقالتي، بعد أن حلَّ بي الإرهاق، فسارع رئيس العمل وأتى برجل آخر، لا غنى عن وجوده لمنع انفجار القنبلة الذرية.

ولم يمض وقت طويل حتى علمتُ أن عانسًا من (بلجرانو) لديها زوج من السلاحف، وهي تعتقدُ، ولا يدري أحد سبب اعتقادها، أن واحدة منهما، لم تقل أيهما، كانت شيطانًا في هيئة سلحفاة.

ولما كانت تلك العانس، التي لا ترتدي إلا الملابس السوداء، وتستخدم مسبحتها طول الوقت، تعجز عن مراقبتهما باستمرار، فقد وظفتني لأقوم بالمراقبة ليلًا.

وأخذت تفسر لي الأمر، قائلةً: يعلم الجميع أن واحدة من السلحفتين هي شيطان؛ فإن رأيتَ إحداهما وقد بدأت في إنبات زوج من أجنحة التنين، فلا تتقاعس عن إبلاغي، فلا شك أنها هي الشيطان؛ ويكون علينا أن نشعل نارًا في الهواء الطلق، ونحرقها حيَّةً، ليختفي الشيطان من فوق البسيطة.

لم أذق طعم النوم في الليالي الأولى، أراقب السلاحف. ويا لها من حيوانات غبية خرقاء. ثم لم ألبث أن شعرتُ بعدم جدوى حماستي، فكنت، بمجرد أن تدخل العانس إلى فراشها، ألفُّ رجليَّ في بطانية، وانكمشُ في كرسي قابل للطي، وأروحُ أغطُّ في النوم طول الليل. فلم يتيسر لي أن أكتشف أي السلحفتين هي الشيطان.

وفي وقت لاحق، أخبرتُ العانسَ بأنني سأتخلى عن هذا العمل، إذ يبدو أنه قد أساء إلى صحتي أن أبقى مستيقظًا طول الليل.

(2)

ثم حدثَ أن تناهى إلى علمي أن ثمة قصرًا أثريًا في (سان ايزيدرو)، يطل على وادٍ عميقٍ، وأن بالقصر تمثالًا صغيرًا، يصور فتاةً فرنسية جميلة، من نهاية القرن التاسع عشر. وكان مالكًا القصر، وهما زوجان طاعنان في السن، يغطي اللون الرمادي رأسيهما، ولديهما اعتقاد لا يعرف أحد مبعثه، في أن تلك الفتاة كانت حزينة وتهفو للحب، وأنها إن لم تجد حبيبًا فسوف تموت قريبًا.

خصصا لي راتبًا، لأصبح أنا صديقًا للتمثال، فبدأتُ أتصلُ بصاحبته؛ وأفسح لنا العجوزان المجال، وإن كنت أشك أنهما كانا يتجسسان علينا. وكانت الفتاة تستقبلني في صالة الاستقبال المعتمة، ونجلس على أريكة بالية. وكنت أجلب لها الزهور والحلوى والكتب، وأكتبُ لها القصائد والرسائل، وكانت هي تعزف على البيانو برقة، وهي تنظر إليَّ بحنان، وأنا أناديها بيا حبي، وأقبلها بعنف، وأحيانًا أتجاوزُ ما كانت تسمح به فتاة محتشمة طهور تعيش في نهاية القرن التاسع عشر.

وكانت (جيزيل) تبادلني حبًا بحب، وتخفض عينيها وتتنهد قليلًا، تسألني: متى سنتزوج؟. وأجيب: قريبًا. وصحيح أنني كنت أقول لها إنني أدَّخرُ، إلا أنني رحتُ أُؤجل الموعد، بحجة أنني لا أستطيع ادخار الكثير من أجل الزواج؛ فكما سبق أن ذكرتُ، إنك لا تستطيع أن تكسب الكثير من العيش على خرافات الآخرين.